

مقصد حفظ البيئة في الشريعة الإسلامية

أم نائل بركاني

تمهيد:

إن البيئة من مخلوقات الله عز وجل، فهي مكلفة بالسجود لله تعالى وتسيحه كغيرها، وقد ورد في القرآن الكريم أن الشجر والدواب والجبال والنجوم تسجد لله تعالى مثل الإنسان المؤمن وأنها تسبح ربها، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَأَنْفَقَهُونَ سَبِّحَهُمْ﴾^(١)، وقال أيضاً: ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ بِسَبْحِ لَهٗ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيْتُمْ﴾^(٢)، وقال أيضاً: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾^(٣)، وقال أيضاً: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾^(٤)، وغيرها من الآيات الدالة على تسيح البيئة بشكل عام لله عز وجل. والإنسان في هذا الكون مخلوق لله مثل بقية الأشياء المحيطة به، إلا أنه مميز عليها بالعقل وبالإرادة. لكن تبقى البيئة ومتعلقاتها أمم مثل أمة الإنسان، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ مُتَأَلِّمَةٌ﴾^(٥)، فاهتمام الإسلام بها دليل على وجوب الاهتمام بها، فهي آية من آيات الله تستدعي التفكير فيها، وأنها نعمة من نعم الله تستوجب الشكر والمحافظة عليها والاستمتاع بها، وتسخيرها بالوجه الصحيح الذي يمثل الشكر، وتحقيق غاية الخلافة في الأرض، والتمتع بجمال هذه البيئة، وتنمية هذا الجمال وإظهار بديع صنع الخالق سبحانه فيها.

١- سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

٢- سورة النور، الآية: ٤١.

٣- سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.

٤- سورة الجمعة، الآية: ١.

٥- سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

ولقد ورد في القرآن الكريم ذكر جملة من العناصر البيئية ومتعلقاتها في كثير من الآيات، منها:

قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا بِلَيْغِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ سَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَىٰ الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾.

والإسلام يدعو إلى حماية البيئة، لأن ذلك سبيل للحفاظ على الإنسان الذي من أجله خلقت،

حيث قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...﴾ ولقد اعتبر الإسلام الإنسان محورا رئيسيا للاهتمام بالبيئة، فتدهور النظام البيئي يهدد البشرية جمعاء، ويهدد الرسالة التي كلف بها هذا الإنسان من عبودية وخلافة وعمران، فالمحافظة على البيئة جزء من مقاصد الشريعة لأن المحافظة عليها تحمي حياة الإنسان، وإفساد البيئة إضاعة لهذا المقصد، وخيانة للأمانة التي كلف الإنسان بحفظها واستثمارها. ولقد وضع الإسلام منهجاً عاماً لحماية البيئة وحفظها، له أصول ثابتة في النصوص الشرعية التي نهت عن العبث والتلوث والإفساد في الأرض والإسراف في التعامل مع الموارد الطبيعية واستنزافها. والإنسان يشترك مع البيئة من حيث وحدة المنشأ، ووحدة المقصد، ووحدة المآل والمصير، غير أن هذا الإنسان اصطفاه الله فميزه على سائر المخلوقات، وجعل هذه البيئة في خدمته ليتمكن من تحقيق الخلافة على الأرض كما أمره الله بها، فالبيئة للإنسان هي جزء من الجانب التطبيقي الواقعي لمهمتي العبودية والاستخلاف اللتين كلف بها هذا الخليفة، فدور البيئة في هذه المهمة بالتأمل فيها والتفكير والاعتبار، والتسخير والاستثمار المتوازن والانتفاع بكل ما في هذه البيئة، والعناية والرعاية والمحافظة بها يحقق

مصلحة الإنسان ومصالح المجموع^(٧)، فحفظ البيئة من المقاصد العامة والتي يعود فيها الصلاح على عموم الأمة، لذلك قال ابن عاشور في تعريفه للمقصد العام من التشريع: "هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان. ويشمل صلاحه وعقله وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه"^(٨). وهذا ما سيتضح في هذا البحث.

تعريف البيئة والتلوث:

لغة: من بوأ وتبوأ أي حل ونزل وأقام، والبيئة تعني المنزل أو الحالة أو الهيئة^(٩).

اصطلاحاً: وردت تعاريف كثيرة للبيئة منها:

البيئة هي مجموعة النظم الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى والتي يستمدون منها زادهم ويؤدون فيها نشاطهم^(١٠).

البيئة هي الوسط المحيط بالإنسان والذي يشمل كافة الجوانب المادية وغير المادية، البشرية منها وغير البشرية، فالبيئة تعني كل ما هو خارج عن الإنسان وعن كيانه وكل ما يحيط به من موجودات. فهي تشمل البيئة الطبيعية والبيئة البيولوجية وأيضاً البيئة الإنسانية^(١١).

فالبيئة هي كل ما يحيط بالإنسان من موجودات؛ من ماء وهواء وكائنات حية وجمادات، وهي المجال الذي يمارس فيه الإنسان حياته ونشاطاته المختلفة.

وعلم البيئة هو الذي يدرس الكائنات الحية - والإنسان من ضمنها - بارتباط مع وسطها الطبيعي^(١٢). أو هو دراسة العلاقات بين الكائنات الحية مع بعضها ومع بيئتها^(١٣).

٧- انظر تفصيل ذلك في: عبد الله شحاته، رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م، ص ١٩ وما بعدها.

٨- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ومراجعة محمد الحبيب ابن خوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ١٩٤.

٩- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، طبعة دار المعارف، د.ت، ج ١، ص ١١٥.

١٠- ماجد راغب الحلوي، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٣١.

١١- انظر: محمود صالح العادلي، موسوعة حماية البيئة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط ١، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ١٧-١٨.

١٢- موسوعة المعارف الحديثة، منشورات عكاظ، المغرب، ١٩٩٩م، ص ٩٤.

١٣- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٩م، ج ٥، ص ٣٥٧.

ولقد نشأ علم البيئة (Ecology) الذي يبحث في أحوالها الطبيعية أو مجموعات النباتات أو الحيوانات التي تعيش فيها، وبين الكائنات الحية الموجودة في هذه البيئة (Ecology) مكونة من مقطعين يونانية هما Oigus وتعني المسكن، و logis وتعني دراسة، ولقد دُرج في اللغة العربية على إطلاق اسم البيئة على (Ecology) فاختلف بذلك الأمر مع مفهوم البيئة بمعنى Enivmment وأصبح عالم الأيكولوجي وعالم البيئة وكأنهما تسميتان مرادفتان لمجال عمل واحد، ولكن الواقع غير ذلك؛ فعالم الأيكولوجي يعنى بدراسة وتركيب ووظيفة الطبيعة أي أنه يحدد الحياة وكيفية استخدام الكائنات للعناصر المتاحة، أما عالم البيئة (Envirmment) فيعنى بدراسة التفاعل بين الحياة والبيئة، بتطبيق معلومات في مجالات معرفية في دراسة السيطرة على البيئة، ووقاية المجتمعات من التأثيرات الضارة.

أما النظام البيئي (ECO SYSTEM) :

فهو عبارة عن ما تحويه أي منطقة طبيعية، من كائنات حية ومواد غير حية بحيث تتفاعل مع بعضها البعض ومع الظروف البيئية، ويعني ذلك أن عناصر البيئة، من عناصر إنتاج وعناصر استهلاك وعناصر تحلل، تتفاعل مع نظام معين يطلق عليه النظام البيئي (١٤).

أو هو كل قطاع أو مساحة من الطبيعة وما يحتويه من الكائنات حية نباتية أو حيوانية وموارد أو عناصر غير حية، تشكل وسطا تعيش فيه في تفاعل مستمر مع بعضها البعض، وعلى نحو متوازن (١٥). فالنظام البيئي هو التوازن القائم بين عناصرها المختلفة، فلو إن ظروفها ما أدت إلى إحداث تغير من نوع ما في إحدى هذه العناصر فإنه بعد فترة قصيرة قد تؤدي بعض الظروف الطبيعية الأخرى إلى تلاقي آثار هذا التغير وتوجد الأنظمة البيئية حولنا في كل مكان، ومن أمثلتها البحيرات والغابات والبحار، وكل منها يمثل بيئة منفصلة قائمة بذاتها تعيش مكوناتها معاً في توازن تام.

مفهوم تلوث البيئة (CONCEPT OF POLUTION):

هو الحالة القائمة في البيئة الناتجة عن التغيرات المستحدثة فيها والتي تسبب للإنسان الإزعاج أو الأمراض أو الوفاة بطريقة مباشرة، أو عن طريق الإخلال بالأنظمة البيئية، وتعرف مسببات التلوث بالملوثات وتعرف الملوثات بأنها المواد أو الميكروبات التي تلحق الضرر بالإنسان أو تسبب الأمراض أو

١٤- المصدر السابق، ج ٧، ص ١٥٩.

١٥- أحمد عبد الكريم سلامة، "حماية البيئة في الفقه الإسلامي"، مجلة الأهدية، العدد الأول، مايو/أيار، ١٩٩٨م، ص ٢٧٣-٣٢٣.

تؤدي به إلى الإحلال (١٦).

والتعريف الحديث للتلوث يشتمل على: كل ما يؤثر على جميع عناصر البيئة من نبات وحيوان وإنسان وكذلك ما يؤثر في تركيب العناصر الطبيعية غير الحية مثل الهواء والترربة والبحيرات والبحار. مظاهر التلوث متعددة منها:

التلوث الأرضي (١٧):

ويتلوث سطح الأرض بشكل عام نتيجة لتراكم المواد والمخلفات الصلبة التي تنتج من المصانع والمزارع والمنازل والمطاعم والدكاكين وما أشبه ذلك. فالتلوث يفقد الأرض خصوبتها، ويؤثر تأثيراً سيئاً، حيث يتسبب التلوث في قتل البكتيريا النافعة التي تعمل على تحليل المواد العضوية وعلى تثبيت عنصر النيتروجين. ولذا تتجدد نظافتها بهذا السبب بالإضافة إلى الشمس والماء والهواء، فإن العناصر الأربعة كلّها مطهّرة.

فإذا تمكنت ملوثات البيئة من القضاء على أنواع من البكتيريا النافعة الموجودة في الدورة الطبيعية لعنصر النيتروجين - الضروري لنمو النبات - فإن الحياة على كوكب الأرض سواء حياة الإنسان أو الحيوان أو النبات سوف تأذن بالفناء.

- ثاني أكسيد الكربون، الناجم عن الكميات الهائلة من الوقود التي تحرقها المنشآت الصناعية ومحطات الوقود ومحركات الاحتراق الداخلة في وسائل النقل والمواصلات، والتي ينجم عنها كذلك، ثاني أكسيد الكبريت، التلوث الهوائي.

- وأول أكسيد الكربون الذي يضر بالجهاز التنفسي.

- الشوائب والأبخرة، والمواد المعلقة مثل: مركبات الزرنيخ والفسفور والكبريت والزرنيق والحديد والزنك.

١٦- المصدر السابق، ج ٧، ص ١٦٥.

١٧- المصدر السابق، ج ٧، ص ١٦٥. وأحمد خالد غلام، وأحمد عصمة عاشور، التلوث وتحسين البيئة، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٣م، ص ٢٠٢. ومحمد شوقي عبد الله، "تلوث التربة وتأثيره على البيئة وصحة الإنسان"، مجلة القافلة، العدد ٣، أوت- سبتمبر ١٩٩٤م، ص ٦-٩.

التلوث المائي (١٨):

الماء ضروري للحياة، فهو يدخل في كل العمليات البيولوجية والصناعية، ولا يمكن لأي كائن حيّ - مهما كان شكله أو نوعه أو حجمه - أن يعيش بدونه، فالكائنات الحية تحتاج إليه لكي تعيش، والنباتات هي الأخرى تحتاج إليه لكي تنمو، (وقد أثبت علم الخلية أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادة الخلية، وهو وحدة البناء في كل كائن حيّ نباتاً كان أم حيواناً، وأثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحويلات التي تتم داخل أجسام الأحياء، فهو إما وسط أو عامل مساعد أو داخل في التفاعل أو ناتج عنه، وأثبت علم وظائف الأعضاء أن الماء ضروري لقيام كل عضو بوظائفه التي بدونها لا تتوفر له مظاهر الحياة ومقوماتها. إن ذلك كله يتساوى مع الآية الكريمة التي تعلن بصراحة عن إبداع الخالق جل وعلا في جعل الماء ضرورياً لكل كائن حيّ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٩).

ويتلوث الماء بكل ما يفسد خواصه أو يغير من طبيعته، والمقصود بتلوث الماء هو تدنس مجاري الماء والآبار والأنهار والبحار والأمطار والمياه الجوفية مما يجعل ماءها غير صالح للإنسان أو الحيوان أو النباتات أو الكائنات التي تعيش في البحار والمحيطات، ويتلوث الماء عن طريق المخلفات الإنسانية والنباتية والحيوانية والصناعية التي تلقى فيه أو تصب في فروعه، كما تتلوث المياه الجوفية نتيجة لتسرب مياه المجاري إليها بما فيها من بكتيريا وصبغات كيميائية ملوثة، ومن أهم ملوثات الماء ما يلي:

- مركبات "الكلوروفلوروكربون" وهي غازات تنتج عن استخدام الثلاجات، وبعض المبيدات، وبعض مواد تصفيف الشعر، أو إزالة روائح العرق، والتي تستخدم بكثرة في المنازل وكذلك في المزارع.
- التلوث الناجم عن استخدام المنظفات الصناعية والفلزات الثقيلة، والمواد المشعة، والمبيدات الحشرية، والمخصبات الزراعية، ومخلفات ناقلات البترول، ومياه الصرف الصحي، ومياه الصرف الصناعية، التي تحملها إلى الأنهار والبحيرات، وتؤدي إلى تكوين طبقة سميكة من الرغوة، تؤدي إلى عزل المياه عن أكسجين الهواء، وبالتالي النقص في كمية الأكسجين الذائبة في المياه، مما يؤدي إلى قتل ما بها من كائنات حية.

١٨- الموسوعة العربية العالمية، ج ٧، ص ١٦١. وأشرف محمد متولي، "أخطار تلوث المياه ووسائل حمايتها"،

مجلة القافلة، العدد ٢، جويلية ١٩٩٥م، ص ٤-٦.

١٩- سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

التلوث الهوائي (٢٠):

الهواء هو كل المخلوط الغازي الذي يملأ جو الأرض بما في ذلك بخار الماء، ويتكون أساساً من غازي النتروجين والأكسجين، ويوجد إلى جانب ذلك غاز ثاني أكسيد الكربون بنسبة قليلة، وبخار الماء وبعض الغازات الخاملة وتأتي أهمية الأكسجين من دورة العظیم في تنفس الكائنات الحية التي لا يمكن أن تعيش بدونها وهو يدخل في تكوين الخلايا الحية بنسبة تعادل ربع مجموع الذرات الداخلة في تركيبها. ولكي يتم التوازن في البيئة ولا يستمر تناقص الأكسجين شاءت حكمة الله سبحانه أن تقوم النباتات بتعويض هذا الفاقد من خلال عملية البناء الضوئي، حيث يتفاعل الماء مع غاز ثاني أكسيد الكربون في وجود الطاقة الضوئية التي يمتصها النبات بواسطة مادة الكلوروفيل الخضراء ولذلك كانت حكمة الله ذات أثر عظیم رائع فلولا النباتات لما استطعنا أن نعيش بعد أن ينفد الأكسجين في عمليات التنفس واحترق. وتلوث الهواء يعني وجود مواد صلبة أو سائلة أو غازية بالهواء بكميات تؤدي إلى أضرار فيسيولوجية واقتصادية وحيوية بالإنسان والحيوان والنباتات والآلات والمعدات، أو تؤثر في طبيعة الأشياء.

التلوث السمعي (٢١):

إن التلوث الصوتي هو التغير المستمر في أشكال حركة الموجات الصوتية بحيث تتجاوز شدة الصوت المعدل الطبيعي المسموح له بالأذن من قبل العلماء بالتقاطه وتوصيله إلى الجهاز العصبي. إذ تتراوح ذبذبة صوت الإنسان بين قرابة ألفي ذبذبة في الثانية، بينما نلاحظ أن الآلات الموسيقية تعطي ذبذبة تتراوح بين ثمانية آلاف ذبذبة في الثانية.

والصوت أحد الملوثات، حيث أنه يسبب ضرراً للإنسان والحيوان والنبات، فالأصوات العالية تسبب ضعف السمع لفترة من الزمن ثم يعود الإنسان بعد ذلك إلى حالته السابقة، وعادة يحدث هذا التأثير للأفراد الذين يتعرضون للضوضاء والأصوات العالية المتدفقة من الأدوات داخل المصانع والورشات. أما الأماكن المزدحمة، فإذا تعرض الإنسان يومياً لضوضاء عالية، كالذين هم على أطراف الطرق المزدحمة بالسيارات وما أشبه ذلك، نظراً لأن محلاتهم أو بيوتهم تقع هناك، فإنه يصاب بضعف مزمن في السمع، فإذا ما تعرض الإنسان يومياً لسماع صوت عالٍ ومُدوٍّ ومفاجئ مثل أصوات المدافع وانفجارات

٢٠- محمد عبد القادر الفقي، "مخارق الملوثات السامة ودورها في مكافحة تلوث الهواء"، مجلة القافلة، العدد ٩،

جانفي- فيفري ١٩٩٦م، ص ١٧ - ٢٠.

٢١- الموسوعة العربية العالمية، ج ٧، ص ١٦٦.

القنابل في فترات الحرب أو اختراق الطائرات للجدار الصوت، قد تؤدي هذه الأصوات إلى إيجاد ثقب في طبلة الأذن نتيجة للضغط الكبير الذي تولد خارج الأذن. وأحياناً يتأثر جهاز التوازن الموجود في الأذن الداخلية، فيشعر الفرد بالدوار والقيء، وأحياناً يموت الإنسان بسبب صوت مفاجئ من انفجار قنبلة أو صاعقة أو صوت مدفع أو صراخ أو ما أشبه ذلك.

والأصوات المرتفعة لها تأثير ضار على الغدد الصماء وعلى الدورة الدموية، فتجعل الشعيرات الدموية تتقلص، كما أنها تحدث ذبذبات في الجلد، وربما أحدثت تغييرات في نشاط الأنسجة، كما تزيد من معدل الضغط الدموي عن طريق إثارة مركز انقباض الأوعية الدموية في المخ.

- التفجير النووي، وهو أخطر ما يصيب البيئة العالمية لأنه يؤثر في الجو والبحر والبر وينقل الهواء والماء التلوث من بلد إلى آخر ومن دولة إلى أخرى.

- الضوضاء، والتي يترتب عليها العديد من الأضرار الصحية والنفسية، حيث تؤدي إلى اضطراب وظائف الأنف والأذن والحنجرة، وتؤثر في إفراز بعض الهرمونات الضارة في الجسم، وتؤدي إلى الاضطراب في بعض وظائف المخ، والأخطر أنها تؤدي إلى ظهور مشاعر الخوف والقلق والتوتر لدى الأفراد، كما أن المصابين بالاكتهاب هم أكثر الناس حساسية للضوضاء.

طرق القضاء على التلوث تتخلص فيما يلي (٢٢):

للقضاء على التلوث لابد من تكاتف الجهود، سواء من جهة النشاط الحكومي من أجل التخلص من التلوث، وقد شرعت قوانين مختلفة في دول مختلفة لتحقيق ذلك، أو من جهة الجهود العلمية، وذلك باهتمام العلماء والمهندسين سواء من جهة التوعية والترشيد أو من جهة الحلول التقنية للتخلص من التلوث. أو من جهة المؤسسات والمصانع، حيث أن الحد من التلوث يحسن صورتها لدى الجماهير، كما يكون ذلك دافعاً لها لتطوير منتجات ووسائل لا تشكل خطورة على البيئة. أو من جهة الزراعة بتكثيف المساحات الخضراء والاهتمام بها، كما أن من العلماء والمزارعين من طور طرقاً لتنمية المحصول، وذلك بالتقليل من الأسمدة الكيميائية والمبيدات والاعتماد على الدورات الزراعية، بالناوبة بين المحاصيل من سنة إلى أخرى مما يوفر للأرض المواد المفقودة من نيتروجين وغيره.

ويمكن تلخيص كل ذلك في مايلي:

١- ألا تنشأ المصانع داخل المناطق السكنية.

٢٢- انظر تفصيل ذلك في المصدر السابق، ج ٧، ص ١٦٦ وما بعدها.

- ٢- الاستكثار من زراعة الأنواع المقاومة لأضرار بعض الغازات.
- ٣- تعديل تصميم بعض وسائل النقل.
- ٤- الاستكثار من مساحة الأراضي الزراعية الخضراء.
- ٥- التشريعات القانونية التي تلزم الناس وأصحاب المصانع والمؤسسات بمكافحة التلوث.
- ٦- وأهم طريق للعلاج هو غرس الضمير الديني الذي يجعل من الإنسان رقيقاً على نفسه وعلى عمله؛ وذلك بتوضيح جرائم التلوث وما يترتب عليه من أضرار، فإن مراعاة الإنسان لمثل ذلك دينياً له أكبر الأثر وأهم كثيراً من القوانين التي يتحايل عليها ويمكن الإفلات منها، أما الوازع الديني النابع من الخوف من ربه فسيكون له أكبر الأثر.

البيئة من منظور إسلامي:

إن الإسلام يضع منظوراً شاملاً متكاملًا ومتميزاً لمفهوم البيئة وقضاياها المختلفة وطرق التعامل معها وحمايتها، وذلك من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واجتهادات علماء المسلمين وفقهائهم. ولقد اعتبر الإمام الراغب الأصفهاني في كتابه الذريعة إلى مكارم الشريعة: أن "عبارة الأرض" أحد مقاصد ثلاثة لله تعالى من المكلفين من بني الإنسان، وهي أساسية خلق من أجلها الإنسان، واستمد ذلك من نصوص القرآن الكريم ذاته، وهذه المقاصد هي (٢٣):

المقصد الأول: عبادة الله تعالى كما قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢٤).

المقصد الثاني: استخلاف الله للإنسان في الأرض، وهذا الاستخلاف يتم بإقامة الحق والعدل ونشر الخير والصلاح، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢٥)، فيتحقق بذلك قصد الشارع من الناحية العملية، إذ أن المقصد العام من التشريع هو "حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان" (٢٦).

المقصد الثالث: عمارة الأرض، والتي اعتبرها علال الفاسي أعلى المقاصد الشرعية عندما قال: "هو عمارة

٢٣- المنتدى العالمي الأول للبيئة من منظور إسلامي بقصر المؤتمرات بمدينة جدة، في الفترة ما بين ٢٦ - ٢٨ رجب

١٤٢١هـ الموافق ٢٣-٢٥ أكتوبر ٢٠٠٠م.

٢٤- سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

٢٥- سورة البقرة، الآية: ٣٠.

٢٦- ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ج ٣، ص ١٩٤.

الأرض وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل" (٢٧)، وعمارة الأرض إنما تتم بالغرس والزرع والبناء، والإصلاح والإحياء، والبعد عن كل إفساد وإخلال، كما قال تعالى على لسان نبيه صالح عليه السلام: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (٢٨) ومعنى "استعمركم" أي طلب إليكم أن تعمروها. كما يجب أن تكون بالطريقة التي قررها مستخلف هذا الإنسان، ويكون ذلك بتحقيق العبودية في نفسه، ثم تحقيقها في محيطه وبيئته، "فليست الخلافة قائمة على التعبد بمعناه الخاص المتمثل في الشعائر المعروفة، وإنما قائم على التعبد بمعناه العام الذي تصير به كل حركة الإنسان المادية والمعنوية عبادة الله تعالى. فإن مهمة الخلافة بذلك تعني أول ما تعني ترقية الذات الإنسانية من خلال جهاد مع النفس وجهاد إزاء البيئة الكونية يهدف إلى تحقيق السموّ الفردي في مراقبي الفضيلة والعلم ومعاني الإنسانية، والسمو الجماعي في مراقبي التعاون والتراحم والتكافل، والسمو المنهجي في التعامل مع بيئة الكون بما يضمن الانتفاع بها والمحافظة عليها على أحسن الوجوه من الانتفاع والمحافظة، وكل ذلك في نطاق الاقتراب من الله تعالى بتطبيق أوامره ونواهيه" (٢٩).

مركزات حفظ البيئة:

حفظ البيئة يمثل المقصد الثالث من المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، ولقد اهتم الإسلام بها اهتماماً واضحاً وجلياً، سواء من جانب الوجود والاستدامة بتشريع وسائل كثيرة لحفظها وصلاحها وتعميرها، أو من جانب العدم، بمنع كل ما يؤدي إلى القضاء على البيئة وهلاكها وتفويت مصالحها، التي تعود على الإنسان بمفاسد جمة تعطل أداءه للأمانة التي كلف بها، وهي العبودية والاستخلاف والعمران. والمحافظة على البيئة وعلى مواردها وجمالها تتحقق به العبودية، وذلك عند التأمل في خلق الله وهو القائل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (٣٠) ويتحقق بها الاستخلاف بعمارة الأرض وتسخير منافعها، لتحقيق الخلافة كما أرادها الله.

٢٧- علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، دار المغرب الإسلامي، المغرب، ط ٥، ١٩٩٣م، ص ٤٥-٤٦.

٢٨- سورة هود، الآية: ٦١.

٢٩- عبد المجيد النجار، "الاستخلاف في فقه التنحضر الإسلامي"، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، السنة الأولى، العدد الأول، يناير ١٩٩٧م، ص ٩٣-٩٤.

٣٠- سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

أولاً- حفظ البيئة من جانب الوجود:

١- كل ما في البيئة حق مشترك بين الناس: لقد جعل الإسلام ملكية البيئة مشتركا بين الناس فليس لأحد أن يتعسف في استعمال هذا الحق، إلا بما يعود على المجموع من مصلحة عامة، وأهم الموارد البيئية التي تتحقق فيها الملكية المشتركة، ما ورد في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "المسلمون شركاء في ثلاث في الكلا والماء والنار" (٣١).

٢- التنمية المستدامة: التشجير والتخصير: فهناك آيات وأحاديث كثيرة تحض على الغرس والزرع، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة" (٣٢). وقال: "ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يزرؤه أحدٌ إلا كان له صدقة" (٣٣). وقال: "من نصب شجرة، فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر، فإن له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل" (٣٤). ويجب على المسلم أن يتذكر دائماً ذلك الحديث الشريف الذي دعا إلى الغرس حتى ولو قامت الساعة؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل" (٣٥). كما أن التنمية المستدامة تكون بالمحافظة على الأشجار والثمار، أما المحافظة على الأشجار فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن الشجر يسبح وتسيحه ينفع الأموات والأحياء أيضاً، كما أمرنا الله تعالى أن ننظر إلى هذا الجمال الطبيعي وأن نأكل منه ونعطي حق الله تعالى فيه فقال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (٣٦) وقال أيضاً: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ (٣٧)، غير أن التمتع بالنظر إلى الأشجار والثمار، مشروطاً بالصلاح وهو أن نتظر الثمر حتى ينضج ولا نستعجل نضوجه، لأن الاستعجال هذا يفسد الثمر ويفسد

٣١- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، رقم ٣٠١٦. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب باقي مسند الأنصار، رقم ٢٢٠٠٤.

٣٢- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المزارعة، رقم ٢١٥٢. ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، رقم ٢٩٠٤.

٣٣- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، رقم ٢٩٠٠.

٣٤- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب مسند المدنيين، رقم ١٥٩٩١.

٣٥- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب باقي مسند المكثرين، رقم ١٢٥١٢.

٣٦- سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

٣٧- سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

طعمه، وخاصة إذا استعملنا المبيدات الضارة بالأرض والشجر والإنسان، فنحن لكي نستعجل ثمرة صغيرة نوقع الضرر بالبشرية كلها، وهذا مما لا يرضاه الدين الإسلامي.

٣- إحياء الموات: العمارة والشمير: إن إحياء الموات يدخل تحت باب استصلاح البيئة المهملة واستثمارها أو بالأحرى عدم تركها دون استصلاح، وشرع الإسلام أن يتوسع الناس في العمران وينتشروا في الأرض ويحيوا مواتها فتكثر ثرواتهم وتعمر مجتمعاتهم. وإحياء الموات معناه إعداد الأرض الميتة التي لم يسبق تعميرها وتهيئتها وجعلها صالحة للانتفاع بها في السكنى والزرع ونحو ذلك، وقد حصّ الإسلام على إحياء الموات ورغب فيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحيا أرضاً ميتة فهي له" (٣٨)، وقال: "من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها" (٣٩) وقال: "من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه" (٤٠) وقد نظم الإسلام هذه المعاملة ووضع لها شروطاً حتى لا تختلط الأمور. فالأرض يجب أن تستغل حتى توفر الزرع أو الثمر أو الخضراوات للإنسان، ولا يقتصر الأمر على الأرض الزراعية بل الأمر يتعدى إلى استثمار الثروات المعدنية المهملة فلا يجوز في شرع الإسلام أن تترك أرض دون استثمار سواء كانت للزراعة أم لاستخراج المعادن. ويأتي في مقدمتها إحياء الأرض الموات وتثمين الثروات وتنمية الموارد.

٤- النظافة والتطهير: على اعتبار أن الطهارة من شروط بعض العبادات خاصة الصلاة، ولذا شاعت بين المسلمين مقولة "النظافة من الإيمان" وأوردت السنة النبوية آداباً كثيرة في النظافة والاعتسال والتطيب وحسن الهندام خاصة في المناسبات العامة كصلاة الجمعة والعيدين، وحثت على إمالة الأذى عن الطريق. والنظافة بمعناها الواسع هي الطهارة أولاً، وعليها بني هذا الدين، فإذا كانت الصلاة هي عمود الدين، فإن الطهارة هي عمود الصلاة وشطر من الإيمان، لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الطهور شطر الإيمان" (٤١) لأن الإنسان إذا ابتعد عن النجاسات فقد ابتعد عن كل ما يفسد الأرض وينشر الأمراض، وهذه الأخيرة معظمها يأتي من النجاسات، وكذلك نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء

٣٨- أخرجه الإمام مالك في موطئه، كتاب الأفضية، رقم ١٢٢٩. و أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء،

رقم ٢٦٧١. والترمذي في سننه، كتاب الأحكام، رقم ١٢٩٩.

٣٩- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، رقم ٢١٦٧.

٤٠- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، رقم ٢١٧٢. ومسلم في صحيحه، كتاب المزارعة، رقم ٢١٧٢ وفي

كتاب البيوع، رقم ٢٨٦٥.

٤١- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، رقم ٣٢٨.

الراكد فقال صلى الله عليه وسلم: "لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه" (٤٢)، لأن هذا الفعل يؤدي إلى انتشار الأمراض وإلحاق الضرر بالغير. وكذلك نهانا عن البول في ظل شجرة مثمرة، والبول في قارعة الطريق، ولعن من يفعل ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل" (٤٣)، لأن ذلك يضر بالناس ضرراً كبيراً، ومن باب أولى حرم علينا إلقاء النجاسات والقاذورات في الشارع أو في الأماكن القريبة من المساكن، ولأجل هذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف المنازل أولاً فقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفئيتكم ولا تشبهوا باليهود" (٤٤). كما أمرنا بدفن الفضلات، فإن دفنها ينفع الأرض ويبقي الإنسان من الأمراض، وكذلك إمطة الأذى عن الطريق واجب من الواجبات وشعبة من شعب الإيمان كما هو معروف. كما وضع عليه الصلاة والسلام ثواب الحفاظ على نظافة البيئة وإبعاد الأذى عنها، بأن الله يكافئ من أدى عملاً في هذا المجال ولو كان يسيراً مثل تنحية غصن الشوك عن الطريق فيكون ذلك سبباً لجزاء الله لصاحبه وغفران الله له، حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: "بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له" (٤٥). بل إن الله تعالى يكافئ من رفع الأذى من طريق الناس بالجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين" (٤٦).

وهكذا نرى أن الإسلام دعا إلى ما فيه الحفاظ على صحة الإنسان وحياته وسخر له ما في الحياة وكرمه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَكَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٤٧).

وسخر للإنسان ما في السموات وما في الأرض، وهي نعم لا تعد ولا تحصى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ

-
- ٤٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، رقم ٢٣٢. ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، رقم ٤٢٤.
 - ٤٣- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، رقم ٢٤. وابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة، رقم ٣٢٣.
 - ٤٤- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأدب، رقم ٢٧٢٣.
 - ٤٥- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، رقم ٥٥٥٠. ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، رقم ٤١٦٢.
 - ٤٦- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٢٩٢، وكتاب الأذان، رقم ٦١٥. ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، رقم ٤٧٤٥.
 - ٤٧- سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ ﴿٤٨﴾. والبيئة بها فيها والمحافظة عليها مما سخره الله للإنسان تكريماً له.
٥- الإحسان إلى البيئة والمحافظة على الموارد: والإحسان كلمة تتضمن الإتقان والشفقة والإكرام، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُميل للقطعة الإنياء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها، وكان بعض الخلفاء مثل عمر بن عبد العزيز يكتب إلى عماله ألا يُحمّلوا الإبل فوق ما لا تطيق وألا يضربوها بالحديد.

عن حميدة بنت عبيد بن رفاعة عن خالتها كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت ابن أبي قتادة الأنصاري أنها أخبرتها أن أبا قتادة دخل عليها فسكبت له وضوءاً فجاءت هرة لتشرب منه فأصغى لها الإنياء حتى شربت، قالت كبشة: فرآني أنظر إليه فقال: أتعجبين يا ابنة أخي، قالت فقلت: نعم، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنها ليست بنجس إنما هي من الطوافين عليكم أو الطوافات" (٤٩).

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (٥٠). والإفساد يكون بالإتلاف وتفويت المنافع أو التلويث والإسراف، أو بإشاعة الظلم والباطل والشر، ولذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً أن يذبح له شاة حلوبة. وفي السنة إنذار لمن يقتل طيراً أو حيواناً بغير منفعة أو يتخذ شيئاً فيه روح هدفاً للتصويب عليه، كما أن بها حثاً على الاستفادة بجلد الميتة. فالنبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الاهتمام بالنخل كما بالأرحام "أكرموا عمتكم النخلة" (٥١). وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم "أنه خرج في حاجة فمر ببيع مناخ على باب المسجد من أول النهار ثم مر به آخر النهار وهو على حاله فقال: أين صاحب هذا البعير؟ فابتغي فلم يوجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتقوا الله في هذه البهائم ثم اركبوها صحاحاً واركبوها سماناً كالمسحط أنفاً إنه من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من نار جهنم، قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يغنيه؟ قال: ما يغديه أو يعيشه" (٥٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: "من قتل عصفوراً عبثاً عَجَّ إلى الله يوم القيامة يقول: إن فلانا قتلني عبثاً، ولم يقتلني منفعة" (٥٣)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار قال فقال والله أعلم لا أنت أطعمتها ولا

٤٨- سورة لقمان، الآية: ٢٠.

٤٩- أخرجه الإمام مالك في موطئه، كتاب الطهارة، برقم ٣٨.

٥٠- سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

٥١- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب باقي مسند الأنصار، رقم ٢٢٠٠٤.

٥٢- أخرجه أحمد في مسنده، كتاب مسند الشاميين، رقم ١٦٩٦٧.

٥٣- أخرجه النسائي في سننه، كتاب الضحايا، برقم ٤٣٧١.

سقيتها حين حبستها ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض" (٥٤). وعن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها" (٥٥). وعن عبد الله بن حبشي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قطع سدره صوب الله رأسه في النار، سئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال: هذا الحديث مختصر يعني من قطع سدره في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار" (٥٦). فهذه الأحاديث وغيرها كثير لخير دليل على اهتمام الإسلام بالبيئة وبكل ما تحويه، وأن المحافظة عليها من الإيثار وجزء من عقيدة المسلم.

٦- الحفاظ على صحة الإنسان: وهناك حشد كبير من النصوص الشرعية من القرآن والسنة يدعو إلى الحفاظ على الصحة بدءاً من الدعاء بطلب العافية ومروراً بالوسائل التي تجلب العافية وتحافظ على سلامة البدن وحتى التعامل الإيجابي مع المرض في حالة وقوعه والمحافظة على البيئة حتى لا تنتقل عدوى المرض إلى الآخرين.

ثانياً- حفظ البيئة من جانب العدم:

لقد اهتم الإسلام بحفظ البيئة من جانب العدم وذلك لتحقيق التوازن البيئي، وعدم الإخلال بسنة التوازن، التي هي من سنن الله في خلقه، فهو القائل: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونًا﴾ (٥٧)، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ (٥٨) ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (٥٩) ولذلك حرم الإسلام كل ما من شأنه الإخلال بهذا التوازن، ومن ذلك:

١- تحريم الإفساد:

نهى الإسلام عن الإتلاف البيئي للأحياء والنباتات والعمران سواء كان ذلك بدافع القسوة أو الغضب أو العبث أو الإهمال أو في العمليات الحربية وعد ذلك نوعاً من الإفساد في الأرض،

-
- ٥٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، رقم ٣٠٧١. ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، برقم ٤١٦٠، وكتاب البر والصلة والأدب، برقم ٤٧٤٩ و ٤٧٥٠.
- ٥٥- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الصيد، برقم ١٤٠٦.
- ٥٦- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، برقم ٤٥٦١.
- ٥٧- سورة الحجر، الآية: ١٩.
- ٥٨- سورة الفرقان، الآية: ٢.
- ٥٩- سورة الرعد، الآية: ٨.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٦٠)، وقال تعالى لبني إسرائيل بعد أن فجر لهم في التيه اثنتي عشرة عيناً: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٦١). وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٦٢). وقبل ذلك قال صالح عليه السلام لقومه: ﴿فَاذْكُرُوا آيَاتَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٦٣). ولقد أدى الإفساد في البيئة إلى نتائج كبيرة في هذا الزمن تنبؤ بكوارث عظيمة كما أعلن ذلك العلماء المتخصصون في مجال البيئة، ومن هذه النتائج:

١- ثقب الأوزون: يحتوي الهواء الجوي على كمية كبيرة من غاز الأكسجين الذي يوجد عن طريق التمثيل الضوئي للنباتات ويقوم الأكسجين بدور حيوي في الحفاظ على حياة الإنسان والحيوان عن طريق عملية التنفس، وليس هذا فحسب ولكن للأكسجين أهمية كبيرة على دائرة الحياة الأرضية وذلك بتكوين طبقة الأوزون في جو الأرض على ارتفاع يتراوح بين ٢٠ - ٥٠ كيلومترا من سطح الأرض. وفائدة طبقة الأوزون في أنها تمتص نسبة كبيرة من الأشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس وبذلك تحمي الأحياء من أخطارها التي تحرق بالإنسان والحيوان والنبات والنظم البيئية المختلفة.

إن تآكل درع الأوزون قد يؤدي إلى زيادة في معدلات سرطان الجلد بنسبة ٢٦٪. أما الأشعة فوق البنفسجية من نوع UVB فتلعب دورا رئيسيا في تكوين الأورام الجلدية القتامية، وهي النوع الأشد خطرا، وهذا يعني حدوث ما يقدر بحوالي ٣٠٠ ألف حالة سرطان جلد سنويا، إن لم يتحرك المجتمع الدولي بشكل فاعل لوقف استنزاف طبقة الأوزون. ومن الأخطار الصحية الأخرى لمشكلة تدهور حالة طبقة الأوزون حدوث مرض المياه البيضاء (أي إعتام عدسة العين). كما أن نفاذ الأوزون بمعدل ١٠٪ قد يتسبب في إصابة حوالي ١.٧ مليون شخص سنويا، بهذا المرض نتيجة تعرضهم للأشعة فوق البنفسجية، إضافة إلى إصابة العين بمرض الماء الأزرق، لعدم قدرتها على مقاومة هذه الأشعة، كما أن الكميات المتزايدة من الأشعة فوق البنفسجية، والتي تخترق طبقة الأوزون، تضعف فعالية جهاز المناعة عند الإنسان، وهذا ما يجعل الأشخاص أكثر عرضة للإصابة بالأمراض المعدية الناتجة عن الفيروسات مثل

٦٠- سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

٦١- سورة البقرة، الآية: ٦٠.

٦٢- سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

٦٣- سورة الأعراف، الآية: ٤٧.

الجرب، وكذلك الناتجة عن البكتيريا كمرض السل، والأمراض الطفيلية الأخرى. ولا تتوقف الآثار السلبية لتقليص طبقة الأوزون على البشر وحدهم، فيسهم تدمير طبقة الأوزون واتساع الثقب في هذه الطبقة في زيادة درجة حرارة سطح الأرض وبالتالي يؤدي ذلك إلى ما يعرف بظاهرة الاحتباس الحراري. ولعل أكثر المناطق تضررا هي المنطقة المدارية، نتيجة ارتفاع درجة الحرارة، وقوة أشعة الشمس. كما تشير بعض البحوث إلى أن نصف النباتات التي درست حساسة للإشعاعات UVB ينخفض إنتاجها ويصغر حجم أوراقها ما يؤثر في إنتاج المحاصيل الزراعية، مثلما أوضحت بعض التقارير، أن هناك احتمالات لتناقص إنتاج فول الصويا بنسبة ٢٣٪ نتيجة تعرضها لهذا النوع من الإشعاع. إضافة إلى أن التراكم الكيميائي لبعض أنواع النباتات قد تتغير بسبب هذا الوضع، مما يضر بمحتواها من المعادن وقيمتها الغذائية بصورة عامة.

ومن ناحية أخرى فهناك مخاوف من إضعاف تجمعات الكائنات الحية الدقيقة الموجودة في مياه البحار والمحيطات والمعروفة بالعوالق النباتية، نتيجة تعرضها للأشعة فوق البنفسجية، وتعتبر هذه الكائنات أساسا مهما لسلسلة الغذاء في الأنظمة البيئية المتواجدة في المياه العذبة والمالحة، وفي مقدمتها الأسماك والريبان وغيرها. كما أن العوالق النباتية تقوم بدور كبير في امتصاص غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو وبذلك تخفف من وطأة الاحتباس الحراري، كما أنها تطلق الأكسجين الضروري لاستمرار الحياة (٦٤).

٢- ظاهرة النينو (٦٥): حدث ظاهرة El Nino نتيجة لتغير مؤقت في مناخ المنطقة الاستوائية بالمحيط الهادئ، الذي يُحدث بدوره تأثيرات متباينة على مناطق كثيرة في أنحاء العالم من جفاف وحرائق للغابات وأمطار غزيرة.

و"النينو" تعني بالإسبانية الولد أو ابن المسيح، وقد أطلق الصيادون في الإكوادور وبيرو على تلك الظاهرة هذا الاسم؛ لأنها كانت تأتي قرب أعياد الميلاد، وكانت تجعل المحيط الهادئ أكثر دفئا، وتغير اتجاه التيار بالمحيط، فتقل الأسماك بشكل ملحوظ؛ وهو ما يساعد الصيادين على قضاء هذه الفترة في

٦٤- ذكر فريق العمل المعني بالتقويم البيئي والتابع لبرنامج الأمم المتحدة لشؤون البيئة في تقرير نشره في نوفمبر عام ١٩٩١م. وانظر: خولة عبد اللطيف عودة، "تآكل طبقة الأوزون"، القافلة، العدد ٧، أكتوبر- نوفمبر ١٩٩٩م، ص ١٠-١١.

٦٥- أشرف محمد متولي، "ظاهرة النينو والتوقعات البيئية والمناخية"، مجلة القافلة، مؤسسة أرامكو السعودية، العدد ٨، ديسمبر- جانفي، ص ٦-١٠.

البيوت مع أسرهم، لكن الاسم لم يعد يُستخدم للتعبير عن هذه التغيرات الموسمية الطفيفة فقط، ولكن تجاوزها للتعبير عن التغير المتواصل في جو المحيط الهادئ، وذلك باقترانه بما يدعى التذبذب الجنوبي أو Southern Oscillation فأصبح يطلق عليه (El Nino Southern Oscillation (ENSO) .

كان أول من توصل إلى طرف الخيط في تفسير هذه الظاهرة (ENSO) التي طالما حيرت العلماء هو العالم الإنجليزي جيلبرت ووكر (Gilbert Walker) عندما كان في الهند في الوقت الذي كان العلماء مشغولين بتسجيل آثار النينو، حيث لاحظ أن هناك ارتباطا بين قراءة البارومتر (جهاز قياس الضغط الجوي) في بعض المناطق في الشرق ومثيلاتها في الغرب، فعندما يرتفع الضغط في الشرق ينخفض في الغرب والعكس صحيح، وأطلق عليها Southern Oscillation أو "التذبذب الجنوبي"، وقد لاحظ أيضاً وجود علاقة ثلاثية الأطراف تربط بين هبوب الرياح الموسمية (Monsoon) في آسيا وحدوث جفاف بكل من أستراليا، إندونيسيا، الهند وبعض المناطق في إفريقيا، ودفء الشتاء نسبيا في غرب كندا. وقد هوجم ووكر كثيراً لربطه بين هذه الظواهر التي تحدث في شتى بقاع الأرض وعلى مسافات شاسعة من بعضها البعض، لكن بعد مرور خمسين عاما جاء العالم النرويجي جاكوب جركنز (Jacob Bjerknes) ليثبت وجود هذه العلاقة بتلك التغيرات الجوية، وأطلق عليها جملة اسم (EL Nino Southern Oscillation (ENSO، وهكذا اتضح ما يحدث من اضطراب في نظام الضغط الجوي فوق المحيطات أثناء النينو؛ حيث يبدأ الاضطراب من المنطقة الاستوائية للمحيط الهادئ، ثم ينتشر ليؤثر على حالة الجو فوق الأرض بشكل عام.

٣- الإشعاعات^(٦٦): لقد أصبح موضوع التعرض الإشعاعي للإنسان يحتل مكانة هامة نتيجة انتشار استخدامات التقنيات النووية و كثرة التطبيقات، وتسرب المواد المشعة المختلفة إلى البيئة من جراء الاستخدامات المختلفة للمواد المشعة. وهذا يتطلب معرفة سلوكيات تلك المواد المشعة وقدراتها داخل المكونات المختلفة للبيئة من تربة ومياه وهواء. فمن الآثار الصحية للتعرض الإشعاعي هو التحول السرطاني لبعض الأنسجة التي تتواجد فيها المواد المشعة لفترات طويلة نسبيا.

٢- تحريم الإسراف:

قد يُظنُّ أن الإسراف لا علاقة له بالمحافظة على البيئة ولكن في الحقيقة إن أكثر مضار البيئة يأتي من الإسراف الذي قال الله فيه: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٦٧)

٦٦- الموسوعة العربية العالمية، ج ٢، ص ٢١٠ وما بعدها.

٦٧- سورة البقرة، الآية: ٦٠.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُتْسِرِّفِينَ﴾ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٦٨﴾، حيث يلاحظ أن الإسراف في الشراب والطعام، أدى إلى تراكم فضلات الأطعمة في الأرض، مما يساعد على انتشار الأمراض والأوبئة في كل مكان ألقيت فيه هذه الفضلات قبل أن تنقل من مكانها، والإسلام قد نهانا عن الإسراف حيث قال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (٦٩)، فلا يجب الإسراف في الماء حتى ولو كان الإنسان يتوضأ على نهر جارٍ، فالماء سر الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ (٧٠)، ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (٧١)، وأما عن الطعام فعلمنا الإسلام أن نأكل على قدر حاجتنا وأن نضع في الإناء قدر ما يشبعنا حتى لا يرمى الباقي في القمامة، فتجتمع حوله الحشرات التي تتكاثر على هذا المكان، وتكون إما مسببة أو ناقلة للأمراض وكل هذا ضرر حرّمه الإسلام علينا وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار" (٧٢).

وحثّ الرسول صلى الله عليه وسلم على حماية البيئة ومكوناتها، وليس أدل على ذلك من وصاياه التي أوصى بها جيشه في غزوة مؤتة، وهو يتأهب للرحيل: "عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين" (٧٣)، وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل صغيراً أو كبيراً أو أحرق نخلا أو قطع شجرة مثمرة أو ذبح شاة لإهابها لم يرجع كفافاً" (٧٤).

ويعدّ تحريم الإسلام للإفساد بكل مظاهره والإسراف بكل أنواعه قاعدة الأمن البيئي التي ينطلق منها في المحافظة على فطرة البيئة من مظاهر الفساد التي قد تتعاظم وتؤثر في حياة الناس من كسب الإنسان، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (٧٥).

٦٨- سورة الشعراء، الآية: ١٥١-١٥٢.

٦٩- سورة الأعراف، الآية: ٣١.

٧٠- سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

٧١- سورة النحل، الآية: ٦٥.

٧٢- أخرجه الإمام مالك في موطنه، كتاب الأفضية، رقم ١٢٣٤.

٧٣- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، رقم ٢٢٤٧.

٧٤- أخرجه أحمد في مسنده، كتاب باقي مسند الأنصار، رقم ٢١٣٣٤.

٧٥- سورة الروم، الآية: ٤١.

٣- النهي عن الضرر:

لقد حَصَّ الإسلام على المحافظة على البيئته، فنهى عن كل ما فيه ضرر، حيث قال صلى الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار" وجعل من شُعْبِ الإيْمَانِ إِمَاطَةَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيْمَانُ بَضْعٌ وَسِتُونَ شَعْبَةً" وفي رواية أخرى: "بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شَعْبَةً أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحياءُ شَعْبَةٌ مِنَ الْإِيْمَانِ" (٧٦).

فالإسلام يحافظ على الطرقات كجزء مهم من البيئته، فينهاى عن تكلف الجلوس فيها، لما يترتب على ذلك من تضيق الطرق وبعض الأذى، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: "إياكم والجلوس في الطرقات، قالوا: يا رسول الله ما لنا بد منها إنها مجالسنا نتحدث فيها، فقال: فإذا أبيتُم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (٧٧).

فالرسول صلى الله عليه وسلم جعل كف الأذى من حقوق الطريق التي يجب أن تُصان وأن يلتزم بها الناس، وحذّر الإسلام من إهلاك الحرث والنسل، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَوْلَى سَعَى فِي الْأَرْضِ يُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٧٨). وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٧٩). وبين القرآن الكريم كيف سخر الله تعالى لنا ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ علينا نعمه التي يجب علينا أن نحافظ عليها فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَيَاطِنَةٌ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (٨٠). ووضح سبحانه أن من نعمه علينا في بيئتنا أن سخر البحر وما فيه لنا، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَجْتَئِرُوا مِنْ فُضُلِهِ

٧٦- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيْمَانِ، رقم ٨. ومسلم في صحيحه، كتاب الإيْمَانِ، رقم ٥٠ و ٥١.

٧٧- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، رقم ٥٧٦١، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، رقم ٢١٢١،

وكتاب اللباس والزينة، رقم ٣٩٦٠، وكتاب السلام، رقم ٤٠٢٠ و ٤٠٢١.

٧٨- سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

٧٩- سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

٨٠- سورة لقمان، الآية: ٢٠.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾.

٤- منع التلوث:

إن الإسلام بتوجيهاته التي تهدف إلى العمران والتصالح مع البيئة والمحافظة على نعم الله سبحانه وتعالى الحل إذا للمشكلات البيئية المتراكمة في المجتمعات، إنما يركز أولاً على أساس متين من التوعية الدينية والبيئية لتعديل سلوك الناس واتجاهاتهم لإمكان تحسين البيئة، ومن تلك المشكلات نذكر ما يلي:

أ- مشكلة النفايات وتلوث الطرق:

إن التقاط النفايات التي ينبعث منها الروائح الكريهة وغيرها من على الأرض سلوك حضاري سليم، وهنا تأتي عظمة الإسلام في الترغيب في حسن استخدام الطريق وكف الأذى والضرر عنه، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إمطة الأذى عن الطريق صدقة" (٨٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مرّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحني هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة" (٨٣).

وعن عائشة تقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاث مائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاث مائة سلامي فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار" (٨٤). وعن أبي برزة قال: "قلت يا نبي الله علمني شيئاً أنتفع به، قال: أعزل الأذى عن طريق المسلمين" (٨٥)، فهذه الأحاديث وغيرها تشريعات نبوية قبل أربعة عشر قرناً تدعوا إلى التربية البيئية والمحافظة على نظافة ونظارة البيئة.

ب- مشكلة تلوث موارد المياه ومصادرهما:

حرص الإسلام بشدة على عدم تلويث هذه المصادر لما فيه من خطورة مباشرة على حياة الإنسان

٨١- سورة النحل، الآية: ١٤.

٨٢- بوب به البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، فقال: باب إمطة الأذى عن الطريق صدقة.

٨٣- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، برقم ٤٧٤٤.

٨٤- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، برقم ١٦٧٥.

٨٥- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، برقم ٤٧٤٧.

وصحته. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يبولن أحدكم في الماء الراكد ثم يغتسل فيه" (٨٦)، كما نهى عليه الصلاة والسلام أن يبال في الماء الجاري، وقال أيضاً: "لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ فيه، فإن عامة الوسواس منه" (٨٧)، وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنه لا يدري أين باتت يده" (٨٨). وقد امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بنعمة المطر، وهي نعمة عظيمة وفيض من عند الله على عباده بما ينشئه من جداول وأنهار على سطح الأرض منه، وقد وصفه الله بالطهارة والتطهر، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٨٩).

وكما اهتم الإسلام بنظافة موارد المياه العامة فقد اهتم بنظافة ماء الشرب والحرص عليه من التلوث ووضع شروطاً خاصة في تناوله لمنع حدوث العدوى عن طريقه. فقد نهى الإسلام أن يتبادل جماعة الشرب من إناء واحد، وذلك لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب من فم القربة أو السقاء وأن يمنع جاره أن يغرز خشبة في داره" (٩٠)، وذلك لأن كثيراً من الأمراض، مثل الأنفلونزا والدفتريا والتيفود وغيرها، تنتقل عن طريق الشفتين واللعباب، ولنا في رسول الله القدوة الحسنة، فقد كان له كأس من الخشب يشرب فيه في البيت هو والسيدة عائشة رضي الله عنها.

ويوجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ضرورة تغطية آنية السقاء (الشرب) والطعام، وألا تترك مكشوفة للأتربة والذباب والميكروبات، فعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا استجرح الليل أو قال: جنح الليل فكفّوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم وأغلق بابك واذكر اسم الله وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله وأوك سقاءك واذكر اسم الله وخمر إناءك واذكر اسم الله ولو تعرض عليه شيئاً" (٩١).

٨٦- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، رقم ٢٣٢. ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، رقم ٤٢٤.

٨٧- أخرجه النسائي في سننه، كتاب الطهارة، رقم ٥٧.

٨٨- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، رقم ٤١٦.

٨٩- سورة الفرقان، الآية: ٤٨.

٩٠- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، رقم ٥١٩٦. ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، رقم ٣٠١٩.

٩١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، رقم ٣٠٣٨. ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، رقم ٣٧٥٦.

الإسلام والتربية البيئية:

لقد وضع الإسلام أسسا للتربية البيئية، مدارها على ثلاثة محاور: العبودية والاستخلاف والعمران، ويتفرع عن هذه المحاور مجموعة من المبادئ الأساسية التي تتعلق بالبيئة وهي: المحافظة على مكونات البيئة: الأرض، الموارد المائية والزراعية، والاعتدال في استهلاك الموارد والعدالة في توزيعها، ثم التبصر بجمال البيئة وعظمة الخالق. فتكون المحافظة على البيئة صيانة للأمانة الإلهية وضمان لمستقبل الأجيال القادمة.

لذلك كان لزاماً على المجتمع المسلم أن يلتزم بأداب الإسلام في السلوك والتعامل مع الطبيعة من حولنا من منطلق العبودية والاستخلاف في الأرض لإعمارها، سواء على مستوى البيت أو المدرسة أو الشارع، منها (٩٢):

١- الحرص على نظافة المكان الذي يعيش فيه المسلم، سواء أكان بيته أو مدينته لأن النظافة أساس كل تقدم ورقي، وعنوان الحضارة، ومظهر من مظاهر الإيمان، والحرص على التخلص من القمامة بطريقة سليمة؛ لمنع انتشار الأمراض.

٢- تجنب الضوضاء، والحرص على تعويد الأبناء الهدوء، لأن ذلك يمثل قيمة سامية ومظهر للحضارة الإسلامية، وأدب حرص ديننا الحنيف على تأكيده والدعوة إليه، لقوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (٩٣).

٣- الحرص على الزراعة والتشجير، وتزيين المنازل وما حولها بالأشجار والنباتات والأزهار، وتعليم الأبناء المحافظة على الأشجار والزهور والنباتات الموجودة في الأماكن العامة والخاصة.

٤- تنمية الحس الجمالي عند الأطفال وتعويدهم على الغرس والاهتمام بالنباتات في حدائق المنازل وغيرها.

٥- التخلص من المخلفات الصلبة، كالأوراق والصناديق وقطع القماش القديمة والزجاجات الفارغة والعلب المعدنية وبقايا الطعام التي أصبحت من أهم مصادر التلوث، لأن تراكمها وتجمع المياه حولها يجعلها مرتعاً للحشرات والميكروبات ومصدراً للرائحة الكريهة.

٩٢- انظر: سليمان أحمد القادري، "مستوى الأخلاق البيئية لدى معلمي العلوم للمرحلة الثانوية في محافظة إربد"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، العدد ١٦، ديسمبر ٢٠٠١م، ص ٧-٢٨.

٩٣- سورة لقمان، الآية: ١٩.

- ٦- الحرص في التعامل مع المياه، وعدم الإسراف في استخدامها، وكذلك عدم تلويثها بإلقاء القاذورات فيها.
- ٧- الحرص على إدخال الشمس إلى مختلف الحجرات؛ لتقضي على الحشرات والميكروبات وتمنع تكاثرها وتحد من نشر الأمراض والأوبئة.
- ٨- الحذر عند استعمال المنظفات الكيماوية والمواد السامة، والتقليل منها ما أمكن، لأنها تؤثر على طبقة الأوزون، التي تحمي الأرض من أشعة الشمس الحارقة، والأشعة الأخرى الضارة.
- ٩- استخدام المرشحات التي تقي البيئة من العوادم الناجمة عن استخدام الوقود وغير ذلك، وكذلك استخدامها في الأجهزة المنزلية التي يترتب عليها ظهور عوادم ضارة كمدخنة المطبخ وغيرها.
- ١٠- نشر الوعي البيئي بين الأبناء، لتوسيع آفاقهم ومداركهم حول حب العالم والكون بها فيه، ومن فيه، وكذلك نشر هذا الوعي بين الجارات والأقارب وتوجيه النصح والإرشاد لهم، والتعاون على مواجهة هذا الخطر، لما فيه صالح الفرد والمجتمع، بل والعالم أجمع.
- ١١- تنبيه على العقيدة الصحيحة بشأن البيئة في هذه الأمة وبيان أن الله قد خلق لنا الكون كله، وأبدع لنا الطبيعة من حولنا، وجعلها مسخرة لخدمتها، فهي أمانة بين أيدينا، واستغلالها يجب أن يقترن بقدر تحقيق المنفعة الخاصة مع الحفاظ على المصلحة العامة. والتسخير في الحقيقة يشكل دعوة لاستثمار نعم الكون بعد اكتشافها والتلذذ والاستمتاع بها والإحساس بجماها، أما العبث بنواميس الكون وسننه وتغيير معالمه فإنه يضاد النعمة ويقابلها بالكفر بدل حمد الله وشكره على نعمة البيئة. وقد بين ابن عاشور كيف أن لصالح العقيدة دوراً في صلاح الإنسان وبالتالي صلاح تفكيره، ومن ثم صلاح علاقته بالموجودات بما فيها البيئة، فيقول: "فابتدأ (أي الإسلام) بإصلاح الاعتقاد الذي هو إصلاح مبدأ التفكير الإنساني الذي يسوقه إلى التفكير الحق في أحوال هذا العالم" (٩٤).
- ١٢- سن بعض القوانين والتشريعات التي تحافظ على البيئة، إذ أن جزءاً من المسؤولية يقع على عاتق الدولة باعتبارها القائمة على مصالح الأمة، وحفظ البيئة مما يتعلق بشؤون هذه الأمة، ويندرج اهتمام الدولة بالبيئة ضمن السياسة الشرعية، لأن هذه الأخيرة "هي الأحكام التي تنظم بها مرافق الدولة، وتدبر بها شؤون الأمة، مع مراعاة أن تكون متفقة مع روح الشريعة، نازلة على أصولها الكلية، محققة أغراضها الاجتماعية، ولو لم يدل عليها شيء من النصوص التفصيلية الجزئية الواردة في الكتاب والسنة، فعدم دلالة

٩٤- ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ج٣، ص١٩٧-١٩٨.

شيء من النصوص الواردة في الكتاب والسنة على أحكام السياسة الشرعية تفصيلاً، لا يضر ولا يمنع من أن نسميها شرعية"^(٩٥). لذلك عمد الشاطبي إلى بيان المصالح المقصودة شرعاً بقوله: "وأعني بالمصالح ما يرجع إلى قيام حياة الإنسان وتمام عيشه، ونيله ما تقتضيه أوصافه الشهوانية والعقلية على الإطلاق، حتى يكون مُنَعَّمًا على الإطلاق"^(٩٦). فليس القصد من المصالح ما كان آخره فقط، بل كل ما يحقق مصالح للإنسان في هذه الدنيا، ويعينه بها على القيام بوظيفة العبودية والاستخلاف فهو مقصود شرعاً.

الخاتمة:

لم يهتم تشريع بالمحافظة على البيئة مثل الإسلام، ولم يهتم أحد بالنظافة مثل المسلمين، لأن الله سبحانه وتعالى استعمرنا في الأرض وسخرها لنا لحسن القيام بأمانة العبودية والاستخلاف، ونهانا عن إفسادها فقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٩٧)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(٩٨).

إذن فالله سبحانه وتعالى أمرنا أن نحافظ على صلاح هذه الأرض وأن نتصرف فيها دائماً على وجه الصلاح وبقصد الإصلاح، فأمرنا الشارع بأوامر كثيرة لإصلاح هذه الأرض، ونهانا عن كل ما يفسدها مادياً ودينياً؛ أمرنا بالنظافة والمحافظة على الأشجار والثمار، ونهانا عن الإسراف وتغيير خلق الله تعالى، وهذه الأشياء هي التي تحافظ على البيئة حفاظاً كاملاً إذا أحسننا الالتزام بها أمرنا به.

فالمنظومة البيئية خلقت بشكل متزن، وأي خلل في أحد عناصرها يؤدي إلى الخلل في وظيفة الاستخلاف التي أنيط بها الإنسان. لذلك ينبغي على الإنسان أن يتعامل مع عناصر المنظومة البيئية بقدر الحاجة وفي حدود إقامة هذه الوظيفة، فلا يسرف في استخدام المياه ولا يجهد الأرض بالاستعمال ولا يسرف في قتل الحيوان حتى يقضي على الأنواع، لذلك أمرنا الإسلام بالحفاظ على التوازن بين عناصر البيئة، فلا يجوز إفساد الموارد ولا تلويث عناصر المنظومة البيئية؛ فتلوث الهواء يعود بالضرر على الإنسان والحيوان كما أن فساد المياه ينعكس على النبات والحيوان والإنسان، لذلك قال الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ

٩٥- عبد الرحمن تاج، السياسة الشرعية والفقه الإسلامي، القاهرة، د. م، ١٩٥٣م، الجزء الأول ص ٧-٨.

٩٦- الشاطبي، الموافقات، دار المعرفة، بيروت، ط ٣، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٣٣٩.

٩٧- سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

٩٨- سورة الشعراء، الآية: ١٥٢.

أُنَاسٍ مَّشْرَبِهِمْ ^ط كُؤُوا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٩٩﴾ وكذلك فالإسراف ممقوت ومنهي عنه، ويؤدي إلى الهدر، والإسراف في الطعام يؤدي إلى التخممة، والإسراف في قطع الشجر يؤدي إلى التعرية، والإسراف في استخراج الموارد يؤدي إلى استنزافها، وهذا كله ينزل الأذى والضرر بالبيئة والناس، لذلك نهى الله سبحانه وتعالى عن الإسراف فقال: ﴿وَكُؤُوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٠٠).

ومن الجدير بالذكر في نهاية هذا البحث التنبيه إلى ضرورة الاهتمام بالقضايا ذات الطبع الكلي، التي تنبني عليها مصالح الأمة والإنسانية، وهذا يكون بضرورة تفعيل مقاصد الشريعة لمعالجة القضايا المعاصرة في مختلف مجالات الحياة، بما يعود على مجموع الأمة بالصلاح في دينها ومعاشها. فالإسلام ليس جزئيات فقهية تتعلق بأفراد الناس؛ سواء في تنظيم العلاقة بينهم وبين الخالق، أو بينهم وبين الناس، وإنما أيضاً أهتم الإسلام بالقضايا الكلية التي يعود فيها الصلاح على عموم الأمة.

٩٩- سورة البقرة، الآية: ٦٠.

١٠٠- سورة الأعراف، الآية: ٣١.